مشايخ التربية وأوصافهم

ونبدأ بالسؤال الأول: هل مشايخ التربية نادرٌ وجودهم فى هذا الزمان؟

مشايخ التربية لا يخلو منهم زمانٌ ولا مكانٌ، لكن الناس هُيئ إليهم أ م غير موجودون، فما الحقيقة؟ إذا كان أهل الزمان مهتمين مر الدين والعمل لآخرة ظهر هؤلاء الأفراد، لأن بضاعتهم مطلوبة، وإذا انشغل الناس عن طريق الله لدنيا – كما حدث فى هذا الزمان – توارى هؤلاء الأفراد، و ما الحكمة فى ذلك؟ لأن الله عزوجل يُعلن الحرب على كل من يستهزئ م أو يسخر من سلوكهم:

{مَنْ عَادَى لِيوَلِيا فَقَدْ آذَنْتُهُبِالْحَرْبِ }[1]

والناس إذا كانوا متوجهين إلى الدنيا والشهوات لكلية تجدهم إما أن يُنكروا على أهل الآخرة، أو يعترضوا على الصالحين وعلى أحوالهم، أو والعياذ يسخروا منهم ويستهزئوا م، فمنهم من يتهمهم لخبل، ومنهم من يتهمهم لجنون، لماذا؟ لأ م يظنون أن ما هم فيه من الكدح فى الدنيا والسعى فى جمعها من العقل بل ومن تمام العقل، فكيف يزهد الناس فى الدنيا ويقبلون على الله؟ لكن الصالحين لا يخلُ منهم زمانٌ ولا مكانٌ، و خذ منهم صنفاً واحداً، يقول فيهم صلى الله عليه وسلم، واسمعوا الحديث وعُوه:

{ لايَزَالُ أَرْبَعُونَ رَجُلامِنْ أُمَّتِي قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِإِبْرَاهِيمَ ، يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِمْ عَنْ أَهْلِالأَرْضِ ، يُقَالُ لَهُمُ الأَبْدَالُ ، قَالَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّهُمْ لَمْيُدْرِكُوهَا بِصَلاةٍ وَلابِصَوْمٍ وَلا صَدَقَةٍ ، قَالُوا : يَارَسُولَ اللَّهِ ، فَبِمَ أَدْرَكُوهَا ؟ قَالَ :بِالسَّخَاءِ وَالنَّصِيحَةِلِلْمُسْلِمِينَ }[2]

وهذا صنفٌ واحدٌ من الصالحين، فالأرض لا تخلو من أربعين على قدم إبراهيم فقط، فكيف بمن كان على قَدم عيسى؟ ومن كان على قدم موسى؟ وكيف بمن كان على قدم مُحَمَّد ﷺ؟

فالأرض مليئة م ولا تخلو بلدةً من بلاد الله – حتى من البلاد الإسلامية التى لا تتكلم العربية – من أولياء، وأهل كشف، وأهل شهود، وإ كم أن تظنوا أن الولاية فى مصر فقط، بل فى كل الدول الإسلامية حتى التي لا تنطق العربية ففيها أولياء وأهل مكاشفات.

وهل الكشف يحتاج إلى مصرى أو سودانى أو أمريكانى أو روسى؟ لا، فصفاء القلب تُفتح به عين السريرة فيرى الأنوار المنيرة فى ملكوت الله ومُلكه، فليس له علاقة إن كان هذا الرجل يتكلم عربى أو يتكلم فرنسى، ولكن المهم أنه وصل إلى درجة الصفاء فحظىَ لنور والعطاء، أعطاه له الله عزوجل وتفضل عليه بعظيم الجمال والبهاء، فالأرض لا تخلو منهم أبداً.

كل ما أريد أنبّه إخوانى عليه لأنكم سألتم النصيحة، فقد قال ﷺ:

---

[1] صحيح البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه
[2] المعجم الكبير للطبراني وحلة الأولياء لأبي نعيم عن عبدالله بن مسعود.

(٢)

{الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ }[٣]

فهذه أمانة، فمن يبحث عنهم يحتاج إلى شيئين، يحتاج أولاً إلى الصدق مع الله، فقد ورد فى الأثر المشهور قولهم: **{ إن الله لا يمكر بطالبه }**

الحي القائم

فطالما يصدق مع الله فلا بد أن يكشف له الله عن الرجل الذى يرقيه فى هذه الحياة، وينبّه المنبهين أن شرطه أن يكون حيًّا يُرزق بيننا، أما الصالحون الذين هم لأضرحة وكلهم سادتنا وأقطابنا ونزورهم لنتبرّك م، وندعوا الله فى أضرحتهم ويستجيب الله لنا ببركا م، لكن أ أحتاج إلى واحد يُؤدبني ويرشدني، وينظر إلىَّ بعين اليقين نظرةً ترفعني، وهذا لابد وأن يكون كما قالوا: (الله حيٌّ قيوم، ولا يصل إليه واصل إلا بحيٍّ قائم).

من الذى يستطيع أن يتربَّى على أيدي من لبرزخ الآن؟ من وصل إلى درجة الكشف، فعندما يدخل على رجلٍ من الصالحين فى الضريح فيُكلمه ويسمعه، فهذا يمكن أن يتربَّى أو يُكمل تربيته على يد هذا الرجل وهو فى برزخه، لكن من كان مثلنا ويدخل الضريح ولا يرى شيئاً، فكيف يتعلم؟ وكيف يتنبه؟ وكيف يتوجه؟لا بد له من رجلٍ حيٍّ يُرزق ليربيه.

والعلّة فى الحيّ القائم أيضاً أن تُقام الحُجَّة على النفس، لأن الإنسان يدعو نفسه إلى العمل، فالروشتة التى يُعطيها له الرجل الصالح كما نسمع حالياً أن أصحاب رسول الله كانوا متفرغين وليسوا مشغولون بشيء، لكننا عند مشاكل وعند مشاغل ولا نستطيع عمل شيء مثلهم، أليست هذه حجتنا والتي تينا ا النفس؟ فقال لنا: لا بد الحجة البالغة، فما حجته البالغة فى الدنيا؟ أ سٌ معنا ويعملون مثلنا ومشغولون فى أعمال ومتزوجون ويربون الأولاد ويكدحون فى السعى على المعاش، ومع ذلك: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ا ۗ ﴾ (٣٧النور) وهذا هو الفضل حتى إذا قلتُ: رب أنت تعلم أن عَندَى أولاد وأ مشغولٌ بكذا وكذا، فيقول لى: كان أمامك هذا وكان مشغولاً أكثر منك مراتٍ عديدة، ولذلك نوَّع الله عزوجل الأنبياء ليكونوا حججاً على الناس، فمن الناس من ينشغل لملك ويقول: رب الملك شغلني، فيقول له الله: وهل عندك ملك كملك سليمان؟ وهذه هى الحجة، فقد كان ملكاً للجن وللإنس وللحيوا ت والوحوش وللطيور، ومع ذلك لم يشغله ذلك عن طاعة الله طرفة عين.

يقول: رب أ مشغولٌ لحروب، فيقول له الله: وهل عندك حروبٌ كحروب داود عليه السلام؟ ومع ذلك كان يُخصّص وقتاً للمناجاة الصافية الخالصة التى تستجيب فيها معه كل الحقائق الكونية، حتى يبين الحجة، ووقتاً لأهله، ووقتاً لرعيته.

يقول العبد: رب أ كنت مبتلياً لأمراض، فأشفى من مرضٍ وأُصاب بمرضٍ آخر، فيقول

[٣] سنن الترمذي وأبي داودعن أبي هريرة رضى الله عنه

(٣):

الله عزوجل له: وهل أُصبت مراضٍ مثل أيوب؟ فكلٌ منهم له حجةٌ قائمة من حجج الله على عباد الله.

يقول: رب فتنتنى بكذا وكذا، فيقول له الله: وهل تعرَّضت لفتنة كفتنة يوسف؟ فى فتنة النساء وفتنة الملك وفتنة العبودية، فتنٌ لا تُعد ولا تُحد.

فكل واحدٍ منهم جعله الله عزوجل حُجّة لهم على عباد الله الصالحين، وجمع هذه الحجج فى أمة خير الأولين والآخرين، ففى كل زمان تجد أُ ساً حججاً على خلقه.

فإذا صدق الإنسان فلا بد أن يوصله، أُصدق الله تجد الله عزوجل فوراً يكشف لك عن مناك، ولكن فقط تطلب الصدق، تطلب وأنت تتردَّد وأنت مُتحير، والمتحير والمتردد لا يفوز مر ولا يظفر بطلب، فالمهم لا بد من العزيمة وتبحث عما تريد.

وأ فى صغري لكى أبحث عن الرجل جُبت كل الصالحين فى بحري وفى قبلي وأزورهم وأجلس معهم وأسأل الله عزوجل عن الرجل الذى أتربَّى على يديه، وكنت أرى رسول الله ﷺ، وبعض القوم يقولون لي: طالما ترى رسول الله ﷺ فلا تبحث عن مرادك، لكن الصادقين من الصالحين قالوا لي: لا بد وأن تبحث عن الرجل، إلى أن جاهدت فى هذا الأمر وكأني به ﷺ وكشف لي عن صورة الرجل وقال: هذا شيخك، فلا بُد وأن تظهر لك آية ما دمت أنت مصمِّم على ذلك.

لكن أنت كمن يريد أن يُصلي ويقول: ليتني أجد الجامع مُغلق، حتى أقول: بركة جامع، لكن لا بد أن يكون الطلب بصدق: هرول بصدق وإخلاص يُلبيك على الفور.

أوصاف الشيخ المربي

نياً: لابد أن أزن – على قدري – نفسي لموازين الإلهية التى خصَّ الله ا الرجال وأوصافهم فى الآ ت القرآنية، من هؤلاء المربين؟ هل ينفع أن يتربَّى شخص على يد مجذوب؟ قال:

{وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا } (١٧الكهف)

مجلس ١١

هناك ولي مجذوب، وهناك ولي كلفه الله ورسوله رشاد غيره وهذا ما نريده، لكن من كان ولياً لنفسه لا .

ذهبت لولى من كبار الأولياء فى نظري وكان هو الشيخ أحمد حجاب وهو فى جوار سيدي أحمد البدوي، وكان قد تخرَّج من الأزهر وتفرغ فى مسجد سيدي أحمد البدوي للعبادة، وذهبت إليه فقال لي: بنى وهل أ حملت نفسي حتى أحمل غيري؟ فلم أنتبه لهذه العبارة، لأنه لم يكن مكلفاً بذلك، وانظر بنى آخر مكلف لذا الأمر، والناس تُحب أن تطلع على ا لذوب، ولكنه ليس له علاقة بذلك فله طريقٌ آخر، فهذا له وظيفته، والآخر له وظيفته.

ا لاذيب قد يتحملون الأحمال عن الخلق، فيكون البلاء زلٌ من السماء فيقول: رب ارفع هذا البلاء عن هذا البلد وضعه هنا، فلا مانع وهذه وظيفة.

وآخر يتحمَّل الأمراض عن الناس فيذهب إليه مريض فيحمل عنه مرضه وكذلك المصائب، وهكذا، لكن وظيفة المربي ما شرطه؟ أول شرط ذكره الله لكليم الله سيد موسى عليه السلام، حتى نعرف أن من كان يستغني عن المربي لكان من وصل لدرجة الكليم، لكن هو وصل إلى درجة الكلام والمحادثة مع الله ومع ذلك ردَّه الله للعبد، وما صفته رب؟

{آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا } (٦٥الكهف)

أن يكون عنده رحمة وشفقة لأنه وارثٌ للرءوف الرحيم ﷺ، فلابد من الميراث فى الرحمة، فهل من عنده شدة وغلظة يصلح أن يكون مربياً؟ لايصلح للتربية؟ حتى أن الشدة والغلظة لا تصلح فى الأمور الدنيوية كالمدارس والأسر وغيرها، وهذه ما أوجدت المشاكل النفسية والأسرية فى زماننا، فلا بد من الرأفة والرحمة والشفقة والعطف والحنان التى كان عليها النبي العد ن صلى الله عليه وسلم.

الصفة الثانية: أن يكون معه علمٌ من الله، لا من الكتب ولا من المراجع ولا من السماع من العلماء فقط، وإنما حصَّل لفؤاد فى حالة القرب والوداد من الله عزوجل.

وهذا هو العلم الإلهامي، وكيف أعرف العلم الإلهامي؟ أعرفه عندما أقابله أو أذهب إليه فأشعر بخواطر وتساؤلات فى قلبي، وقبل أن أتكلم أجده يجاوبني عليها بدون سؤال، وهذا هو حال الصادقين من الصالحين، فهل هناك كرامة أكبر من هذا؟ أم نريد كرامات السحرة؟ كمن يطير فى الهواء أو يفعل كذا وكذا، فما لنا وما لهذه الأشياء؟ نريد الكرامات المعنوية القرآنية.

وهذا الرجل أين ساحته؟ سيد موسى يسأل الله فقال له ليس له ساحة ولا أحد يعرفه، أنت تمشي و خذ تلميذك الصغير هذا معك و خذون سمكة مشوية حتى إذا جُعتم أكلتموها، فعندما تمشي لن تشعر بتعب لأنك ذاهبٌ ، وعندما تشعر لتعب تعرف أن الرجل فى هذا المكان.

سيد موسى مشى ومعه غلامه، وكان غلامه وفتاه سيد يُوشع بن نون، فقال: رب سوف أمشي حتى ولو بلغتُ ثمانين سنة حتى يصل إلى الشيخ الذى سيتربَّى على يديه، ووصل عند شاطيء دمياط، وهو مجمع البحرين: بحر النيل والبحر الأبيض، والكلام الموجود فى الكتب غير سليم والذى يقولون فيه: أن مجمع البحرين فى الخليج العربي، وما لهم والخليج العربي؟! فهل موسى ذهب إلى الخليج العربي؟! موسى كان فى مصر، ومنهم من يقول: إنه خليج السويس، وهل هناك بحر ماء عذب فى خليج السويس؟ لا يوجد، لكن البحر العذب فى إلتقاء النيل مع البحر الأبيض عند دمياط.

فمشى موسى وعندما شعر لتعب قال لغلامه:

{ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا } (٦٢الكهف)

هات بنيَّ السمكة لنأكلها، فقال له السمكة نزلت البحر، فقال له: كيف نزلت البحر؟ قال له: عندما كنا فى المكان الفلاني كان هناك رجلاً ئماً على كوم، وقام يتوضأ فتطايرت منه

(٥):

قطرات ماء، فنزلت القطرات على السمكة فاحتيت ونزلت إلى البحر، فقال له: هذا هو الرجل الذى نبحث عنه،جاء سيد موسى كل هذا المشوار ليبحث عن العبد الصالح الذى يوصله إلى الله عزوجل.

أ أريد أن أقول: أنه ليس شرطاً فى العبد الصالح أن يكون مشهوراً، وليس شرطاً أن يكون العبد الصالح على شاشات الفضائيات، فليس له علاقة بذلك لا من قريب ولا من بعيد، وليس شرطاً أن يكون عنده ساحة للذاهبين والآيبين، والطعام والشراب فهذه كلها لقضاء المصالح، وهو مع الصالح لكى يصلحه عزوجل، وهؤلاء ليسوا كثيرين، وهم كما قال الله تعالى: ﴿ لَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ (٢٤ ص)، ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (١٣سبأ) فليس شرطاً أن يكون مشهوراً، قال ﷺ فى شأنهم:

{إِنَّ اللَّهَ عزوجليُحِبُّ الْعَبْدَ: التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ }[٤]

من الذى يعرفه؟ المحبين فقط، والذين يريدهم الله وهم أهله وذويه، أهل الصفا عن أعين الخلق قد سُتروا، هم لا يريدون الخلق، وماذا يفعلون بهم؟ فمنهم من كان يرُدُّ الملوك والأكابر لأنهم مشغولون عنهم، وهو مشغول ويريد من الناس من كان صادقاً فى همته لطلبه ، وهذا أقل من القليل.

الصفة الثالثة: لا بد وأن يكون معه البصيرة النورانية التى أخبر بها سيد رسول الله أنه سيورثها لمن كان على شاكلته إلى نهاية الزمان: {قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (١٠٨يوسف).فهو صاحب بصيرة.

الصفة الرابعة: لا بد كما بين ربنا وقال فى القرآن: {وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾ (٤٦الأحزاب) فيكون معه تصريحاً من سيد رسول الله، فالطبيب الذى يفتح عيادة بدون تصريح من نقابة الأطباء لا يعالج الناس.

كذلك لا يجوز لإنسان أن يفتح عيادة لعلاج أمراض النفوس وتطبيب القلوب بدون إذنٍ صريحٍ من الحبيب المحبوب ﷺ!!

بل لا بد وأن يكون معه إذنٌ من رسول الله ﷺ.

الصفة الخامسة: ما العلامة التى أكشفها على قدري مهما كان علمي ومهما كانت قدراتي؟ وأى إنسان يعرفها؟

(اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا) (٢١يس)

لا يريد أجراً من أحد، لا يريد مني شيئاً، وإذا طلب أو ألمح لطلب لأمورٍ دنية أو دنيوية فلا يكون من هؤلاء القوم، لأن هؤلاء القوم عندما يقيمهم الله يتولَّى إعانتهم: ((إذا أقاموك

[٤] صحيح مسلم ومسند أحمد عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه

(٦):

أعانوك)) فلا يريد من هذا ولا من ذاك، يقولون: نريد العادة من الشيخ فلان ومن الشيخ فلان، وما هذه العادة؟ نريد العبادة ولا نريد العادة، ونريد أن نطهر من العادات وندخل فى العبادات، فلماذا نرجع للعادة؟!.

الصفة السادسة: وهو الشرط المهم والهام، أن يكون عالماً لظاهر و لباطن، فيكون عالماً بشرع الله ولا يتخلف عن أداء ما فرضه الله طرفة عين ولا أقل، وكذلك عالماً لباطن.

رجلٌ ركٌ للصلاة هل يجوز أن تم به فى الطريق إلى الله؟! يقول من حوله: إنه يصلي فى بيت المقدس أو يصلي فى الكعبة، ما لي أ وما لهذه الأمور؟! يجب أن يكون الرجل قدوة، وما دام هو قدوة فلا بد وأن يريني حتى أصلي مثله، فحضرة النبي كان يقول لهم:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }[٥]

وذلك لكى يُعلم من كان خلفه، فإذا كان الإمام ركاً للصلاة فهل من كان خلفه سيُصلي؟! وإذا كان الإمام بحجة الجذب يُفطر فى رمضان، فما هذا الجذب؟ الجذب الصادق وا ذوب الحقيقي ولنعرف أنه مجذو ً حقيقياً شرطه أن لا يترك فريضة من فرائض الله حتى فى أشد أوقات الجذب، يرده الله فى أوقات الصلاة ليؤدّيها ، ويرُدُّه الله فى حاله فى رمضان حتى لا يخرج من حُرمة الشهر أمام المسلمين ويصوم مع المسلمين، وهذا هو ا ذوب الحقيقي.

ومن كل فى رمضان أمام الناس، فهذا غير مجذوب، فقد جرى العُرف – وهى مشكلة عند كلنا – أن كثيراً من الناس يظنُّ أن من عندهم بعض تخلف عقلي أ م مجذوبين، لا ليس هو مجذوب بل عنده تخلف عقلي فيمشى عر ً، ((إذا أخذ ما وهب أسقط ما وجب)) لكن لا أجعله ولياً ولا أصنع له ضريحاً، لا يصّح هذا.

طفلٌ حديث الولادة هل يجوز أن أصنع له ضريحاً والناس يطوفون حوله؟ ما له وما للولاية؟! فالولي يجب أن يكون عالماً عاملاً، علم بشرع الله ثم عمل به كما كان يعمل رسول الله، فورَّثه الله الأحوال العلية من حبيبه ومصطفاه ﷺ، والتي قال فيها:

إِنَّحْنُ مَعَاشِرُ الأَنبِيَاء ، لاَنُوَرِّثُ دِرْهَمَاً وَ لا دِينَاراً ، وإنمَانُوَرِّثُ عِلْمَاً وَنُوَر[٦]

هذه الأوصاف يجب أن أتحقق منها لأنك تختار إنسا ً ستسلمه روحك ليوصلك إلى الله، أو أنت فى غنى عن أنك تمكث سنين مع إنسان ثم تكتشف أنه ليس هو فتبحث عن غيره، والعمر لا يكفي لذلك كله، أ أريد من خذني وفي لمح البصر يوصلني إلى المراد ويقربني من الله عزوجل، لذلك لا بد وأن أدَّقق فى البحث أولاً وأ مل وأسأل الله، وأديم قرع ب الله حتى يوصلني إلى رجلٍ صادق خذ بيدي إلى طريق الله جلَّ فى عُلاه، والحمد فالصالحين لا يخلو منهم زمانٌ ولا مكان.

---

[٥] صحيح البخاري وسنن الدارقطني عن مالك بن الحويرث رضى الله عنه
[٦] رواه الطبراني في مجمعه الأوسط بإسناد حسن

(٧)

بين المجذوب والمعتوه

السؤال الثاني: رأيت فى بعض الطرق من بعض المجاذيب أحياناً أنه يخطئ فى جنب الله تبارك وتعالى فيقول: أنا ذهبت عند ربنا وقلت له: لماذا أنت متكبر، فقال لي: أنا يجب أن أكون كذلك وتعالى اجلس مكاني، فقال له أي المجذوب: لا، أنا لا أستطيع ذلك، وتجد ملابسه متسخة ومهلهلة ولا يتوضأ ولا يغتسل ولا أي شيء من هذا القبيل، فما رأى فضيلتكم فى مثل هذه الأمور؟

هذا ليس إسمه مجذوب، لكن إسمه معتوه أو مخبول، لأنه عنده نقص!!

لكن شرط ا ـذوب المحافظه على الفرائض وإجتناب العيوب التي ـى عنها علام الغيوب عزوجل، هل يوجد مجذوب يقَبّل فتاة أو امرأه أو يحتضنها ويقول أ مجذوب، مال هذا ومال الجذب؟!! هذا رجل بعيد عن اللهَ لكلية، شرط ا ـذوب – كما ذكرت – أن يحافظ على فرائض الله في وقتها، وألا يقع في معاصي الله ، وفتشوا كلكم في سيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، هل سمعتم أن هناك رجل من أصحاب رسول الله ﷺ كانت هيئته مثل هيئة هؤلاء؟ لم يحصل ذلك بل كانوا جميعهم على قدم وساق على قدم رسول الله ﷺ.